الأنوار - ١٨ آب - ١٩٩٦

قضايا ثقافية

الباطن والانسان

درب وعي الداخل، او وعي الباطن الانساني ـ الايزوتيريك، يمر عبر التجربة الشخصية والخبرة الحياتية... بينما درب معرفة ظواهر الامور والوجود الخارجي يمر عبر دراسته نظريا والتعرف اليه علميا. فليس بالضرورة ان تقف على سطح القمر لتدرك بانه خال من الحياة. اذ يكفي ان يقال ذلك لتصدق. لان معرفة الامور الخارجية تمر عبر المعطيات المنطقية عادة. اما ان يقال لك ان الكره يضعف النفس والفكر، او ان الخوف يسبب امراضا نفسية وجسدية، او ان نبا فقدان شخص عزيز يولد الحزن... فتلك امور لا تستطيع قبولها او تصديقها او فهمها ما لم تختبرها بنفسك، او تكون قد اختبرتها فعلا في الحياة!!

المعرفة داخلية، اما العلم فخارجي، والفارق بينهما هو وجهة المسار. فمسار الاولى ينطلق من الباطن الى الظاهر، من المركز الى الدائرة، ليتوسع بهذه الدائرة كلما ابتعد عن المركز... فيما مسار الثاني ينطلق من محيط الدائرة نحو المركز، فيبقى خارج المركز، دون ان يتمكن من دخوله! لانه كما في الانسان كذلك في الكون، ورحم الله كبيرا قال: «اوتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر».

لذلك لا يكفي ان نعرف، بل ان نختبر، ولا يكفي ان ندرس بل ان نجرب، ولا يكفي ان نعلم بل ان نعي. ولياخذ الوعي بيدنا لاكتشاف بواطن نفوسنا اولا. (من الكتاب المذكور اعلاه).

اجل الموضوع يرتبط «بالاخلاقية العلمية»، وهذه لا تتحقق عمليا دون بروز عامل الانسانية في الانسان العالم. وبهذا دعي الايزوتيريك بعلم انسانية الانسان.

لماذا علينا ان ننتظر «العلم المادي كي يربط علم الجينات بالقوة الالكترونية المتطورة التي تحرك الذرات البشرية والفضائية والمادية وكل ما هو في الارض وما يحيط بها»... فهذه جميعها مرتبطة باجهزة الوعي الخفية في الانسان ـ اجسامه الباطنية، والتي لا تراها العين المادية لانها من طبيعة لا مادية. فالقوة الباطنية في داخلنا، وهي اقوى من القوة الالكترونية بدرجات، وهي ما تعطي الحياة الى ذراتنا البشرية وتجعلها في تفاعل مستمر مع كل ما حولها، دون وعي منا... ومن يعي هذه الامور، ويتعلم تقنية عملها، يستطيع اجتراح ما يدعى بالمعجزات... وما تحقيق ما يدعونه بالمعجزات سوى علم ذاتي باطني خفي عن عامة الناس وحتى عن علماء المادة! واولئك الذين تخيلوا هذه الاعمال واطلقوها تحت اسم «الخيال العلمي» هم اعتقدوا بها ولكنهم لم يعرفوا تقنيتها الحقيقية، فاستعانوا بالخيال الواسع وإن لم يكن صحيحا. ولنعترف بصراحة انه لولا خيالهم العلمي لما جعلوا العلم يبحث في كنه هذه الامور. واليهم يعود الفضل بذلك.

ارتفاع معدل الذكاء ليس له علاقة بالقوة الالكترونية بل بتفتيح الجسم الباطني العقلي في الانسان. فكلما فتحه صاحبه في اية ناحية في الحياة اعطى قوة استيعاب اوسع وبالتالي ذكاء اقوى واسرع.

من الخطأ ان نلغي عمل الذاكرة البشرية ونعتمد على ذاكرة الكومبيوتر لوحدها، فهذا ما يحذر منه طلاب المدارس. والاحصاءات تدل على اضعاف ذاكرة التلميذ مع الوقت، وضعف ذاكرة كل من يعتمد على الحاسبات الالكترونية. فالعلوم المادية يجب ان تقوي المقدرات البشرية الكامنة فينا. علما ان الذاكرة الضعيفة تنم عن تركيز ضعيف في صاحبها، والعكس صحيح ايضا.

يحق لنا ان نفاخر بتقنية الاتصال الالكتروني عبر شبكات «انترنيت» في انحاء العالم. لكن لا يجوز لنا ان نتجاهل مقدرات الفكر المجرد... مقدراته الذاتية الخارقة على الاتصال الفكري (Telepathy). وكان اهمها ما اشادت به الصحافة الاميركية منذ سنوات بعدما تعطلت احدى الغواصات وفقدت الاتصال بقاعدتها الارضية وهي راقدة في قعر المحيط. فقام احد الضباط بالاتصال فكريا بصديق له في الغواصة... بذلك تم انقاذ الغواصة وطاقمها من مصير مشؤوم. وخوارق الاتصالات الفكرية كثيرة، انما طغت عليها تكنولوجيا الالكترون. وحال الاتصال الالكتروني كحال التلفون او التلكس او الفاكس او حتى كمشاهدة التلفزيون... مجرد تطوير شبكات الاتصال. وهذا انجاز لصاحبه وتوفير وقت لمستعملها ليس الا. ولا تطور وعي مستعملها بالتاكيد.

ومهما تطورت الهندسة الوراثية ـ الالكترونية، ومهما ارتقت حضارة المادة في خروق علمية... فلن يستطيع العلماء مجتمعين ان يخلقوا انسانا جديدا، او «انسان توصاية»... لسبب بديهي بسيط ان الانسان ليس مجموعة جينات، ولا هو كائن مادي وحسب. ولنذكر ما قاله احد العلماء الاميركيين في اوائل هذا القرن ان نسب العناصر المعدنية المكون منها الجسد البشري يستطاع الحصول عليها ببضعة دولارات... اما مادة الحياة، فلا... لاننا لا نعرف مصدرها. اما عن الروح فمجهولة كليا لدى العلماء. وكانت النتيجة اختراع الشخص الآلي «Robot» الذي ما زال العلم يعمل على تطوير امكاناته وتحسين ادائه.

ويجب ان نعتبر دائما ان الكمال المطلق لا وجود له في عالم النسبية، عالمنا. فلا نتطاول في «خرافات علمية». ومن الاصح القول ان في عالم الانسان هناك اكتمال يؤدي الى ابداع الشيء، اي كماله كما يراه صاحبه. على غرار علامات المدارس او الجامعة (٢٠ على ٢٠، او ٤٠ على اربعين، او ١٠٠ على ١٠٠) او كما ترتئي كل مؤسسة تدريس. بذلك نرى ان ما ندعوه اكتمالا في عالم المادة يرتقي الى كمال ارفع منه. وهكذا من اكتمال يغدو كمالا ثم يصير اكتمالا ليحقق كمالا اعلى. هكذا تطورت البشرية في الكثير من انجازاتها عبر مسيرة حضاراتها.

اما الوعي فلا يتوسع عبر التجارب والاختبارات الشخصية، وليس عبر استجلاب المعلومات من الكومبيوتر او من «الانترتيب». الركوب في مركبة فضائية والوصول الى القمر لا يقدم الى الشخص الوعي بل لذة السفر والوصول السريع. هكذا الحال بالنسبة لكل اختراع جديد، يغني معلومات الانسان كمن يقرأ في كتاب او موسوعة، ويرتقي بتفكيره ربما.

سماه الايزوتيريك عصر الوعي (القرن المقبل) من هذا المنطلق، منطلق ما ينجزه كل فرد بنفسه، ليتطور وعيه به. وليس مما ينجزه غيره لتقديمه له، او ما تنجزه الآلة للافادة منه. ومع تطور الوعي تتطور الحكمة.

انه الوعي، وليس الحكمة «الذي لا ياتي من كمية المعلومات والخروق العلمية وسرعة وصولها الينا، بل كيف نتفاعل معها وكيف تكون ردات فعلنا، وكيف نوازن بين الايمان بالتكنولوجيا والايمان بانفسنا».

انذاك نكون قد دخلنا عصر الوعي، عصر انسانية الانسان.

أ. حيان